تجليات الذاكرة في النص الشعري العدمي

زينب غازي كريم الجنابي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

Manifestations of memory in poetic nihilistic text

College of Education for Humanities / University of Babylon
Shaymaa Mohammed Kadhim
Zainab Ghazi Karim Al – Janabi
ww.20071973@gmail.com

Abstract:

Certainly, memory is of great importance in the production of poetic texts and the formulation of vocabulary in an integrated form with a certain importance the poet draws from poetic texts in all designations where they have a great deal in the use of vocabulary, and thus keep pace with these vocabulary with creativity and exclusivity in the field of poetic texts.

Poetic memory relies on the depiction of events consisting of several meanings symbolizing a certain connotation of the human self, where the focus of the research is to highlight the manifestations of memory in the poetic text of the contemporary Iraqi nihilism, based on the analytical method of poetic nihilistic texts that formed a clear phenomenon, especially after the fall Order and subsequent events caused by difficult circumstances.

Where the research came on two requirements: theoretical side, and the applied side and then concluded the study with the most important results, followed by a list of sources and refer.

Keywords: memory, poetic text, nihilism.

الملخص:

من المؤكد إنّ للذاكرة أهمية كبيرة في إنتاج النصوص الشعرية وصياغة مفرداتها بنسق متكامل ذات دلالة معينة يرنو إليها الشاعر فيستمد الشعر مادته منها في جميع مسمياتها حيث لها جسامة في توظيف المفردات وبذلك ظلت هذه المفردة مواكبة للإبداع والتفرد في مجال النصوص الشعرية.

فالذاكرة الإنسانية قائمة على تصوير الأحداث مكونة بها معانٍ عدّة ترمز الى دلالة معينة تنهل منهُ الذات البشرية, حيث أنصب إهتمام البحث في إبراز تجليات الذاكرة في النص الشعري العدمي العراقي المعاصر, معتمدة بذلك على الأسلوب التحليلي للنصوص الشعرية العدمية التي شكلت ظاهرة واضحة لا يمكن تجاوزها، خاصة بعد سقوط النظام وما تسببت به الأحداث اللّاحقة من ظروف صعبة.

حيث جاء البحث على مطلبين: الأول الجانب النظري, والثاني الجانب التطبيقي ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها, تلحقهما قائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: ذاكرة, نص شعري, عدمية.

1- المقدمة:

تعد الذاكرة الشعرية بما تتضمنه من تجليات من أهم المرتكزات التي يرتكز عليها الشاعر؛ لما تحمله من دلالات تفتح أفاق عِدّة مقتبساً منها مادته الأولية فيشكلها تشكيلاً جديداً مضيفاً لها من حسّهِ مازجاً بذلك الواقع بالخيال ليقدم شعره بصورة معبّرة بصدق الأفكار والوجدان.

أما أهم المصادر التي إتكأت عليها في بحثي منها على سبيل المثال لا الحصر(الذاكرة أسرارها وآلياتها, لورون بوتي, تر د. عز الدين الخطابي, هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة, ط1, 2012, في الذاكرة الشعرية, قيس كاظم الجنابي, مطبعة العاني للنشر والتوزيع – بغداد, د.ط,

1988, الذاكرة في الفلسفة والأدب, ميري ورنوك, تر فلاح رحيم, دار الكتاب الجديد المتحدة, ط1,2007).

2-الجانب النظري:

إتفق مجموعة من الباحثين على إن العدمية مجموعة من الأوجه على وفق مجالات إشتغالها ومنها " العدمية الفلسفية مطلقة تذكر كل شيء ونقدية تتكر قدرة العقل على بلوغ التعيين أما الأخلاقية تتكر القيم والظواهر الأخلاقية (...) والسياسية مذهب سياسي اجتماعي أعتنقهُ باكوين غايتهُ القضاء على النظم السياسية القائمة" [355/1], فهي عند (سقراط) تعود الى العقل[3/2], فنظر اليهِ "بتفاؤل كبير فهو في نظرهِ قادر على النفاذ الى عمق الوجود, وإن هذا الفكر ليس قادر على معرفة الوجود بل هو قادر على تصحيحهُ"[77/3], و " كذلك أكد على فكرة النفس وخلودها واهاب

بالفنانين والمثاليين أن يبرزوا جمالها وكمالها الخفي تحت هيكل الجسد" [35/4].

وكانت لـ(أفلاطون) " تصورات حول الوجود والمعرفة لذلك قسم العالم الى مثالي ومادي, فالمثالي هو الذي يحتوي على الحقيقة والقيم والخير وأما العالم المادي هو عالم محسوس متغير نسبي وسطحي (...) فالعالم الحسي كما يصوره أفلاطون عالم التغيير والخداع وكالسجن أو الكهف المظلم"[46/5], وبذلك وصل سقراط الوجود بالعقل ووصلها أفلاطون بالمعرفة لذا يرى " (نيتشة) إن أفلاطون ومن معهُ من المثاليين مزدرون بالحياة ولا يعرفون قيمتها وهم لا يستحقون العيش فيها لأنهم يرفضون وجودها فهي لديهم لا قيمة لها لذلك هو يسميهم (بالعدميين) لأنهم ينفون أي قيمة للحياة ويرفعون من شأن عالم آخر وجود لهُ"[167/6], أما أرسطو " فقد أشترك مع أفلاطون في توجهاتهِ الفلسفية المثالية ولكنهُ أختلف مع أفلاطون في أقترابهِ من الواقعية وابتعادهِ عن مثالية أفلاطون"[177/2ج/7]

إذ هي " تعتبر بمثابة أعظم وأعمق حدث عرفهُ الغرب الحديث على الإطلاق, هي الحدث الأعمق في الغرب؛ لأنها ستطبع الثقافة الغربية في مختلف مظاهرها بطابعها, ولأنها من جهة أخرى تمثل ضرورة تاريخية وسيكلوجية من حيث هي النتيجة المنطقية لسيادة وهيمنة القيم المقدسة والمثل العليا للحضارة الغربية"[47/8]

فالعدمية تولد من الأسفل بعدما كانت مرتبطة بالسماوات وأنها تولد من أحشاء الجماهير الكادحة المتحركة بغريزة الحقد على كل المركزيات والمدفوعة بغريزة جبارة من أجل المطالبة بحقوق متساوية[118/9], فهي ثورة الذات على الواقع وقد تتجسد بثورة الشباب فتأخذ " أشكالاً أخرى لتكون مجرد حالة نفسية أو عقلية تسيطر على الإنسان, وهنا تعبّر العدمية عن نفسها من خلال الإنجراف وظهور عصابات الشباب وإدمان أفلام الرعب أو العنف وظهور أشكال من الشباب الذين يعيشون فلسفة العبث ويسخرون من النظام والقواعد"[178/10], فتصبح الحياة عبارة عن صورة تتسم بالسوداوية كردة فعل على الضغوط التي تواجه الفرد ليمر بحالة من الإجهاد النفسي تؤدي الى تواجد إنسان عدمي مكتئب يتعايش مع عالم مملوء بالصراعات والتناقضات فيلجأ الشاعر الى توظيف الذاكرة فلولاها " لكان الفرد شارداً, عائشاً في الآن فقط فاقداً قدراته المفاهيمية والمعرفية وتتلاشى هويته "[70/11], فهي " ليست متطابقة مع الواقع أو معادلة للماضي أو الحياة ككل بقدر ما هي وعي بهذه المرجعيات, وإدراك منظم لتشابكها وتعقّدها وخبرة حول مُعطياتها وقوانينها تَحْتَكم الى كفاية الحواس في نسبيتها وجزئيتها وبالتالي فإنها تمثل معبراً لازماً وضرورياً بين الواقعي والتخيلي إن لم نقل إنها المرجع الوحيد الذي تُحيل عليهِ الكتابة والمتبقي من ذلك الكيان المنفلت والمتدفق والموارب الذي نسميه: الواقع " [65/12], فالشاعر العراقي العدمي يجعل من الذاكرة مرتكزاً يرتكز عليه في نصوصه العدمية ليستمد منها ماأختزل من أوجاع وخيبات جراء واقع يعج باليأس والعدم.

وبذلك أكد النقاد العرب على أهمية الذاكرة وما تضيفه للنص فعدوها من أدوات الشاعر وأهم مصادره في التصوير الفني للنص الشعري[39/13], فذاكرة الشاعر " أشبه بالأدراج التي تترتب فيها الأشياء وتُحفظ " [91/14], ومن ثَم لا تكتمل صورة الفحولة عند الشاعر إلا إذا توافر عنصر الخيال الذي بواسطتهِ يعيد تشكيل ما تم خزنه في ذاكرتهِ بإعادة تشكيلهِ تشكيلاً جديداً مُعززاً بقوة إبداعية تميزهُ عن غيره[363/15]فالعمل الإبداعي مرتبط ارتباطاً تاماً بذاكرة الشاعر ومدى توظيفهُ لعنصر الخيال في النصوص

الشعرية وبذلك تقوم الصورة الشعرية على عدة عناصر منها الخيال والذاكرة " الشعرية التي يكمن فيها سر الإبداع الشعري " [205/16].

وبذلك " تعد الذاكرة أو الحافظة الشعرية كما كان يصطلح على تسميتها النقاد العرب العمود الفقري لعملية الإبداع الفني فهي المستودع الذي يودع فيه الفنان أو الشاعر صوره وانطباعاته وخبراته, وبناءاً على ذلك فإن مثل هذه الذاكرة الحيوية ضرورية لكل شاعر ودونها يكون كالقيثارة المفرغة من الموسيقى, ولعل أهميتها بالنسبة لعمل الشاعر تنبع من صلتها الوثيقة بمخيلته إذ إنها الشاشة التي تعكس تجربة الشاعر

بكل تفصيلاتها ودقائقها لحظة الإبداع "[203/16], و" مادامت تجاربنا السابقة وهي جزء من إختياراتنا المختزنة وتتحكم بردود فعلنا وطبيعة تجاوبنا مع التجارب الجديدة ومادامت تلك التجارب الماضية عنواناً هاماً في ذكرياتنا كان من الطبيعي أن نستخلص في منتهى الجدية والجزم بأن الذاكرة جزء من حاضرنا لأنها من العوامل المكونة لإدراكنا وسلوكنا, وأكثر من ذلك وأبعد خطراً كون الذاكرة في أسس مخيلتنا ركيزة كل عمل إبداعي خلّاق يستند الى مخزون الحافظة "[10/17], ولكن " الذاكرة لا تعني الماضي وحدهُ بقدر ما تعني الحركة السائدة في قيم الشاعر الفنية والموضوعية فثمتَ شاعر يستند الى حيثيات الماضي بما في ذلك التراث والموروثات الشعبية, وآخر يجد في الحياة العادية التي يعيشها يومياً بغيتهِ وطموحهِ الشعريين, أي إن الذاكرة الشعرية تستند الى كيان زمني معين لكنهُ لا يعني بالضرورة الماضي البعيد, وإنما قد يعني الماضي القريب "[6/18].

إذ إن الشاعر ينهل من الماضي ذكرياتهِ بكل ما فيها من لحظات مؤلمة وأخرى فرحة لها صدى في ذاتهِ لذلك عُدّت عنصراً فعالاً أرتكزت عليه النصوص الأبداعية للشاعر لتنهل منها عصارة أفكاره فهي مثل " البئر التي يلقى فيها الشاعر بدلائهِ يغرف منها فيرتوي ويروي "[95/19], فالنتاج الإبداعي يستند على الذاكرة والمخيلة ومدى توظيفهما لكي تبدو مؤثرة في ذوات قُرَاءها " وكلما كانت تجربة الفنان تجربة ثرية غنية كلما كان أداءه الفني ثرّاً غنياً وكلما كانت تجربتهِ مفعمة بالنضج والوضوح مما يُمكّن مخيلته من أن تمنح هذه التجربة بيسر وتُمكّن وتعّبر عنها بدقة ووضوح وتلعب الذاكرة دوراً أساسياً في تنظيم تدفق تجربة الفنان وصورة إنطباعاته الى مخيلتهِ ويختلف عمل المخيلة من شاعر الى آخر على حسب قوة ذاكرته ونشاطها"[203/16]. فالذاكرة الشعرية " هي جزء العبقرية المبدعة فهي تمكّن الشاعر من أن يصل لحظة الإدراك المباشر التي تسحر الإلهام, باللحظات الماضية التي حملت إليه إنطباعات مماثلة وهذا الوصل للإنطباع الراهن بالإنطباعات الماضية ويمكّن الشاعر في اللحظة من أن يخلق تأليفاً عِبر الزمن قوامهُ النظام "[62/20], إذاً هي " موضوع حيوي وفعّال في تتبع عطاء الشاعر فهي معينهِ الذي لاينضب من الإرتواء والتواصل"[240/18]. ومما " لاشك في إن التفاعل بين القدرة على التخيل والقدرة على التذكر والإستعادة تخضع في إنجاز فعالياتها لطبيعة وكيفية المساحة النصية التي ستشغلها المادة المستعادة, وحجم التحويل الذي سيحصل لها جراء الفعل الكتابي وهو يصل أقصى مدياته وأكثرها كثافة وتوتراً في الشعر "[113/21].

بيد إن أغلب الصور التي يوظفها الشاعر عالقة في ذاكرتهِ وحاضرة في ذاتهِ ليستمد مادته منها ناثراً عليها بنات أفكاره كلآلىء فضية ليخرجها بصورة فنية ذات بعد جمالي وإبداعي خلّاق ليكون مؤثراً بخلق نص أدبي متكاملاً فالذاكرة معطى ذو فعالية جيدة في إنتاجية النصوص الشعرية إذ تربط الواقع بالخيال.

وبذلك تتحقق " إنطلاقاً من النقطة التي تتداخل فيها الذاكرة مع المخيلة على وجه الدقة (...) من خلال المحاولات التي قد نبذلها لتحويل الذاكرة الى فن"[7/22].

فكل الآثار والمجازر والفوضى التي تعرضت لها الذاكرة العراقية جديرة أن تولّد
نصوص تتوشح بالنزعة العدمية الواضحة في شعر ما بعد 2003 محاولةً إيجاد
فُسحة من الأمل تخرجها من نفق الظلام المكفهر.

3- الجانب التطبيقي:

أنّ ذاكرة الشاعر العراقي تنبثق من رحم المعاناة التي عاشها من إستبداد وتسلط وخراب وتناقض وقلقٍ دائم يهدد ذاته وكيانهُ, لذلك أصبحت سمة بارزة هيمنت على أغلب النصوص الشعرية تاركةً أثراً جلياً على ذواتهم قبل كلماتهم

ففي قصيدة (الملجأ الأخير) نجد أن الشاعرة استدعت النسيان للتغلب على الذكريات التي انهكتها إذ تقول:

أتمرغ في الذكرى

وأصيخ للنبض

أرقب بريدك اليومي

وأعرف أن ليس لي في المطاف الأخير

غير النسيان ملجأ [100/23]

تستهل الذات الشاعرة النص بذاكرة تقلب الماضي بنسقٍ دلالي تشكل على تمظهرات الذاكرة ومدى علاقتها بالنسيان وما لهُ أهمية تجاههٌ.

لذا فمن واجب الذاكرة التفاوض مع النسيان من أجل حفظ التوازن بينهما[603/24] فإتخاذ الشاعرة لفظة (النسيان) ملاذاً تلجأ اليه لتكون بمأمن وسكينة من قساوة الذاكرة المتأسسة في وجدانها وكيانها, حتى إن نيتشة دافع عن " النسيان بوصفه قوة بإمكانها أن تعيد لنا قدرتنا القديمة "[13/25]، من أجل إكمال مسيرة الحياة.

وبذلك حملت النص مدلولاً ايجابياً بـ(النسيان) للتغلب على ذاكرة مرهقة لثقل وشدة ما مرت به وفي قصيدة أخرى للشاعر ميثم حربي تظهر بوتقة المأساة والحنين في ذاكرة محملة بالهموم إذ يقول:

أحتفظ في ذاكرتي

بعمرٍ ضائع

يباغتني

على شكلٍ حنين مزمن

ودموع لا تجف [49/26]

لو تأملنا هذا النص لوجدنا مواطن لذاكرة متخمة بالوجع بألفاظ ذات دلالات تشكلت بشكل هندسي لتكوّن صورة معبرة عن ذاكرة الشاعر فتوظيفه لمفردات

(عمرٍ ضائع, دموعٍ لا تجف, حنينٍ مزمن) ما هي إلا إشارات ذات إيحاءات دلالية عبّرت عما يجهش في هذه الذاكرة التي جعلها الشاعر (مستودع) لحفظ الويلات وما تعرض لهُ في ربيع أيامهِ حتى إنها سرقت منهُ متعة الشباب وحرمتهُ لذتها.

وفي مقطع آخر جسدت الذاكرة ما ينبض بها من يأس قابلتهُ أحلاماً وآمالاً فقالت في ذلك وداد الواسطي:

عُلِقَ اليأسُ في ذاكرتي

مركونةُ هنا أحلامي

بين ضباب الأمس

أرقب نور الصبح

وضوء الشمس[82/27]

في هذا النص نجد أن الشاعرة وبقدرتها الإبداعية تمكنت من الربط ما بين (اليأس) المتعلق بالذاكرة و(الاحلام) التي تريد تحقيقها.

فمنحت لليأس والحزن والألم منفذاً للخلاص من هذه السوداوية التي تعتري الذاكرة, فجعلت من (نور) الصبح و(ضوء) الشمس الوجهة المشرقة لحياة جديدة تريدها فتوظيفها لهذه المفردات دلالة على التفاؤل الذي " يتجاوز في كينونيته سوداوية الواقع وسكونيتهِ المدانة رغبةً في تغيير ما هو كائن الى ما يجب أن يكون "[109/28].

وهذا ما أرادت به الشاعرة أن لا تكون حبيسة للذاكرة وما علق فيها من يأس بل تنظر وترقب ذلك الشعاع الذي ينير عتمة الكون بجماله ونوره الخلّاق.

وفي نص للشاعرة تنهض بذاكرة تلوح بها الى عمق الطفولة حيث تقول:

في بيت أبي
تلوح أطيافٌ كثيرةٌ
مرت هنا في خاطري
لملمت حولي مئزري
وقلت نامي يا صغيرة
(...)
تطوف في بيت أبي
أحلامنا
آلامنا
وكيف كانت أمنا
تحكي لنا
أسطورة أخيرة
(...)
وكيف يحلو الخبز ساعة الظهيرة[75/27]

ففي هذا النموذج الشعري تجلت الذاكرة بصورٍ عدّة لتعمل على إستنهاض الحنين الى (بيت الأب) وذكرى الأيام بأحلامها وآلامها لتضعنا بمنحى تخييلي وهي تسرد لنا ذكرياتها محاولةً التأثير بالمتلقي وتشكيل حلقة رابطة بينه وبين أغوار النص للكشف عن وجدها المشحون بالإنفعالات من حيث الحرمان والمآسي وتُقابل هذا بلوحةٍ ذات ألوان زاهية مفرحة ألا وهي (الخُبز) الذي تصنعهُ الأُم ساعة الظهيرة دلالةً على العيش والتمتع بحياةٍ بسيطة رغم مرارتها وبؤسها.

فجعلت من الذاكرة مركزاً التقى بهِ الماضي والحاضر بمزج الحسي والمُجرد الحلم والواقع في مزيج واحد متلاحم منسجم معبراً بصدق عن الذات الشاعرة[71/29].

كذلك توسدت الذاكرة في قصيدة (غرفة بلا نوافذ) للشاعرة ذاتها تقول فيها:

أختبئُ بين كومةِ أوراق
تاريخ من الذكريات
أسند رأسي الى جدارها
أسترجع ألق الأمس
أستجدي ربيع أيامي
أحلم بالعودة الى الوراء
(...)
في غرفتي
فقدت الألوان بريقها
أنطفأ ضوء أيامي
تألق ضوء آخر

فوق ليل شعري[72-71/27]

عمدت الشاعرة في تشكيل نصها على تقنية الاسترجاع لكونها " تقنية تتمحور حول تجربة الذات وتعادل وفقاً للمصطلح التقني ما يسمى بالإستبطان أو التأمل الباطني"[192/30], فقدمت صوراً تظهر فيها لوعتها على ما فاتها فإستدعت الأفعال (إسترجع – إستجدي) وضحت بها مرارة ما تشعر بهِ وما مرَّ عليها, فظهرت كسارد يروي أحداثاً عاشها مؤطّرة برؤىً عدمية ومن هنا صرحت للمتلقي عمّا تكمدهُ في ذاتها من حسرات وآهات لجأت بشتّى الطرق للتخفيف من حدتها لهذا وظفت (الحلم – البكاء) لعلها تنجو من حبال العدم المحيطة بها بدليل قولها (فقدت الألوان بريقها – إنطفأ ضوء أيامي) فنجدها رتبت أحداث حياتها المتوترة كالآتي:

حلم
بكاء
فقد
أنطفأ

تألق ضوء آخر ☆

محاولة أن تبث أملاً في رحلة لحياة جديدة أكثر قوة وإرادة في تحدي الصعاب والعقبات, فالنص يزخر بالصور الفعّالة التي تشكلت بإبداع متقن من قبل الشاعرة.

أما الشاعر عبد الجبار الفياض فقد أختزل الزمن ولأحداث في ذاكرتهِ قصيدةٌ لهُ (بعد التقاعد وقفة أمام المديرية العامة لتربية البصرة) يقول:

أنتِ كما أنتِ
وأنا لستُ أنا ...
مرتْ على كلينا
أخذتْ مني
ولّكِ أبقتْ كلَّ شيء ...!
هل لأنك الأقوى ؟
هكذا تكلّم زرادشت ...![139/31]

بهذا النص نجد إن الأنا الشاعرة في صراع بين زمنين الماضي والحاضر موظفاً الإسترجاع جاعلاً منه مرتكزاً يرتكز عليه النص لأنّ بهِ " يعود الراوي الى الماضي لإلقاء الضوء على أحداثهِ وبهِ ينقطع السرد مؤقتاً أو يسترجع شيئاً من الماضي حتى يعود الى أحداث حاضرة, فهي تقنية يعتمد فيها الراوي على الذاكرة"[196/32].

فالشاعر جعل من المكان ذاتاً أخرى يحاورها (أنت – انا) (أخذت مني) (لكي أبقت) فهذهِ الدوال أنتجت صوراً شعرية مستلّة من واقع عاشتهُ الأنا الشاعرة بكل تجلياتهِ الذاكراتية جاعلاً من المكان حضوراً مهماً متميزاً حيث بهِ " تكتسب أهمية خاصة في علاقتها بالمبدعين الذين ينفتحون على حساسية المكنة وجماليتها وشعرياتها ويتوغلون بحثاً عن أسرارهم الإبداعية "[137/33], صانعاً بذلك تعالقاً بين الذات المعدمة والمكان جاعلاً منهُ الأقوى والأبقى, مستوحياً من كتاب (هكذا تكلّم زرادشت) رؤيا فلسفية فزرادشت يقول " يأتي وقت عندما يصنع الإنسان لنفسهِ هدفاً يأتي وقت عندما يزرع الإنسان بذرة الآمال فتربتهِ ما زالت غنية لذلك, ولكنها ستصبح في يومٍ ما فقيرة وعقيمة, ولن تنبت فوقها شجرة عالية "[13/34].

وبذلك ربط الشاعر بين الماضي وما كان عليه والحاضر وما حلَّ بهِ وما أحيط بهِ من عدمية الحياة وإضطراباتها ليخرج للمتلقي بنص شعري ذات بعد جمالي متناسب

الألفاظ ومتناسق العبارات ليؤثر بالمتلقي ويجذبهُ الى معالم نصهِ, وتتكرر صور الذاكرة حضوراً في النص الشعري العدمي فالشاعر عمر الجفال يقول:

أجازف بأن أتذكّر, فلا أذكر:

(كانت الذكرى معطّلة – كما المعاني –

على جانبي الطريق مرميتاً ككراكيب في سوق

الجمعة)[58/35]

تدفقت لغة النص بشكل تلقائي لتنقل حالة الذات المتوترة للمتلقي التي تعرضت لشتّى العذابات, وبذلك يأتي النص مؤكداً لحقيقة الذاكرة وما تضمرهُ من لقطات ولحظات إنسانية أحتلت مكاناً مركزياً في الذاكرة المعدمة المضطهدة بسبب واقع مضطهد كل ما فيه, فتوظيف الشاعر للفعل (أجازف) أضفى رونقاً للنص جعل من المتلقي يتصور الذات وهي تُعْتَصر لتتذكر ماضي قد يكون فيه شيء من الشروق لينير بعض من الحاضر المظلم لكن الذكرى معطّلة وكأنها في سبات فـ " الذاكرة إذا أثقلها الزمن أودعت روحها للنسيان "[88/36].

فالشاعر شبهَ المعاني التي أراد التعبير بها عن الذكريات بكراكيب مرمية في سوق الجمعة تائهة بين زحام الباعة المتجولين وأكشاك الأكل السريعة والملابس والأغراض العتيقة[8/37], وكأن لاقيمة لها في فوضوية العالم, وأمام هذه الرؤى المنبثقة من الذات المعدمة تبقى الذكريات في مكامن النسيان والأغفال لمعالجتها من تشظيات الواقع المرير حتى تستطيع مواصلة الحياة بصورة قد تكون أفضل من الماضي.

وفي قصيدة (حيدرنا) لعلي وجيه نجد الشاعر يتكلم بصيغة الجمع ليخفف من شدة الألم والإرهاق الذي أصاب الشعب فيقول:

... وكنا – نتقاسم البهجة – أربعةً يزرع أحدنا لوحدهِ حلماً فنرى أثر

المحراث بأكفنا كلنا وكنا: إذ نحمل الشمس على ياقاتنا المغبرة, نفكر

بندى البيت إذ تستريح العيون من الضوء.[64/38]

إن النسيج اللغوي المكون لهذا النص صاغ إنموذجاً ذات صيغ دلالية مكثفة ناقلة لتجربة الشاعر عبر تفعيل عنصر الذاكرة في أقصى تمظهراتها, فتوظيفه للفظة (كونّا) دلالة على الأنا الجمعية التي تدل على أنا الشاعر وغيرهُ لينقل معاناة وقسوة العيش فضمير الجمع (نا) دالاً على الحالة الشعورية ليس للشاعر وحدهُ بل ينطلق من العالم " لأن العالم صورة من ذات الشاعر وبالتالي فتفكيرهِ بذاتهِ يعني تفكيرهِ بالعالم "[26/39]، ليعبر عن فداحة المشاق التي أصابت أبناء وطنه وكم الجهد والعناء والإرهاق, متأملاً المثوى الذي يشعرهُ بالسكينة والراحة من صخب الحياة وخشونتها.

أما الشاعر حسن رحيم الخرساني أتخذ من هذه الأبيات دلالة على واقع عنيف موجع يقول:

أقف على راحة الموت

أقطع تذكرة للعراق

أحمل معي

طفلاً بلا يدين

ومسلة من شمس

أتذكر دجلة وأمي

تركض ذاكرتي الى الوراء

(...)

أنا قمرٌ من نخيلٍ يتيم [55/40]

إن النص الشعري عبارة عن صورة تقريرية تجسد واقع عاشهُ الشاعر وترك أثراً بالغاً بهِ حيث " أعتمد في صياغتها على التعبير المباشر وتكسب الصورة التقريرية خصوبتها وحيويتها وجمالها بقدر ما يضفي عليها الشاعر من حركة وعاطفة وخيال"[188/41]. فالشاعر يكشف عن ذاكرة محملة بالألم والفجيعة التي مرت على العراق وشعبهِ بسبب الحروب حتى أصبحوا ينعتوه (بلد الموت) فجملة (أحمل معي طفلاً بلا يدين) دلالة الضعف الذي إنتاب كل فرد عراقي إذ ليس لديه قدرة على التغيير معززاً هذا الشعور بالياس, وتمضي بهِ الذاكرة الى دجلة وأُمهِ فجعل هذا الإقتران رمزاً للعطاء والخير رغم كل الويلات والصراعات التي نالت من هذا الوطن فذاكرته أختزلت كل الإنكسارات التي مر بها موظفاً جملة (أنا قمرٌ من نخيلٍ يتيم) لتعمق دلالة النص الشعري وتزيد من فاعليته لإيصال صورة للمتلقي بأنه " لم يعد لليتم طعم أو معنى في العراق, فقد تيتم نخل العراق "[11/42].

وما هذا النص إلا إشارة عن عمق المعاناة التي مر بها الشعب العراقي.

حيث أجاد شاعر آخر في حضور الذاكرة يقول:

أبتكر وجعاً آخر,

وأولع ذاكرتي بالنسيان

والأماني التي شاخت

أدركها خريف القصيدة

بحقائبي المتعبة[43/88-89]

إن الشاعر بهذا الأداء الجمالي المقترن بنبرة الأسى والحرقة على أوجاع كانت وما زالت حاضرةً, ولشدة ما يشعر بهِ من ذاكرة مثقلة بالعذاب عمد في النص الى أسلوب التقابل فجعل من الذاكرة تقابل النسيان والشيخوخة تقابل الخريف

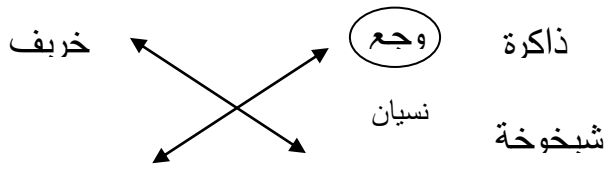

فينبثق النص من تخمة الكمد والغم وعدم الراحة التي هيمنت على نفسهِ ووجدانهِ فأتخذ من الخريف " رمزاً لكثير من المشاعر المتناقضة المتراوحة بين الأسى الشفيف والحنين الى المجهول والشعور بالفناء "[400/44].

فمنح النص رؤيا دلالية يرمز الى تساقط الأماني التي كانت في يوم تنبض بالحياة ولكنها تساقطت كأوراق الخريف واحدة تلو الأخرى.

الخاتمة:

لجأ الشاعر العراقي المعاصر للعدمية عندما رآها ملاذاً من ضغوطات الواقع السوداوي فكانت وسيلة للتعبير عن معاناته والآمه الذاتية حيث أقترنت العدمية بذات الشاعر العراقي المعاصر وظهرت في نصه صورة سوداوية عكست واقعه المعاش الذي فقد فيه توازنه, فالذاكرة هي روح الإنسان والشاعر العدمي لايمكن أن يتجاوز الذاكرة بما تحملهُ من هموم ذاتية ومجتمعية, لذا جاءت لغتهم الشعرية معبرة بشكل دقيق عن تناقضات الواقع ومأساته فكانت مفرداتها مشحونة بالدلالات الناقمة عليه والمتمايزة عنه ومعبرة عن حالات القلق والفوضى والإضطراب فنجد أن أغلب النصوص التي وردت هي مقتبسة من ذاكرة الشاعر العدمي وفي أحايين كثيرة يعمد على تحوير الواقع بتضمينهِ الخيال لهروبهِ من هذا الواقع والإبحار بآفاق جديدة من جهة ومن جهةٍ أخرى لشد إنتباه المتلقي.

المصادر:

1. الحداثة وما بعد الحداثة, عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي, دار الفكر – دمشق, د.ط, 2003.

2. صيف الفكر اليوناني, عبد الرحمن بدوي, مكتبة النهضة المصرية – القاهرة, د.ط, د.ت.
3. مفهوم التأويل في فلسفة نيتشة, وفاء دسوي واشراق جمال مفرج جامعة منتوري – قسطنطينية, (2005–2006) رسالة ماجستير غير منشورة.
4. القيم الجمالية, راوية عبد المنعم عباس, دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية, د.ط,1987.
5. التفكيكية دراسة نقدية, بيرف زيا, تج. اسامة الحاج, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت, ط1, 1960.
6. فلسفة نيتشة, أويغن فينك, تج ألياس بديوي, وزارة الثقافة والسياحة والأرشاد القومي – دمشق, ط1, 1974.
7. تاريخ الفكر الفلسفي – أرسطو والمدارس المتأخرة, محمد علي أبو ريان, دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية, د.ط, 1984:ج2
8. أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقية الغربية, د. محمد أندلسي, التنوير للطباعة والنشر, ط1, 2015.
9. الوضع ما بعد الحداثي جان فرانسو, تج أحمد احسان, دار شرقيات القاهرة,د.ط,1994.
10. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة, عبد الوهاب المسيري, دار الشروق– القاهرة, د.ط,2007:مج1.
11. الذاكرة والهوية, جويل كاندو, تر وجيه اسعد, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق, د.ط, 2009.
12. تنصيص الذاكرة في التجربة الأدبية, د. هشام العلوي, ضمن كتاب (النص الأدبي بين الواقعي والمتخيل), مجموعة مؤلفين, منشورات وحدة النقد الأدبي الحديث والمعاصر, مشروع باريس – فاس, ط1, 2003.
13. منهاج البلغاء وسراج الأدباء, حازم القرطاجني, تح محمد الحبيب ابن الخوجه, دار الكتب الشرقية – تونس, د.ط, 1966.
14. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.
15. المقابسات, أبو حيان التوحيدي علي بن محمد, تح محمد توفيق حسين, مطبعة الإرشاد – بغداد, د.ط, 1970.
16. مفهوم الإبداع الفني في الشعر (رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس والنقد الأدبي الحديث), د. جهاد شاهر المجالي, دروب للنشر والتوزيع – عمان الاردن, ط1, 2016.
17. بنك الذاكرة موسوعة ثقافية وجيزة, د. عمر فاروق الطباع, دار الأرقم بن أبي الأرقم, بيروت – لبنان, د.ط, 2016.
18. في الذاكرة الشعرية, قيس كاظم الجنابي, مطبعة العاني للنشر والتوزيع – بغداد, د.ط, 1988.
19. شعر عبد المنعم الرفاعي, دراسة فنية, ياسر ذيب أبو شعيرة, دار جليس الزمان – المملكة الاردنية الهاشمية, ط1, 2010.
20. في الرؤيا الشعرية المعاصرة, احمد نصيف الجنابي, وزارة الإعلام – بغداد, د.ط, د.ت.
21. مرايا التخييل الشعري, محمد صادق عبيد, جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع – عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع, ط1, 2006.
22. الذاكرة في الفلسفة والأدب, ميري ورنوك, تر فلاح رحيم, دار الكتاب الجديد المتحدة, ط1, 2007.
23. توهجات رماد, خالدة خليل, دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة, ط1, 2013.
24. الذاكر, التاريخ, النسيان, بول ريكور, تر د. جورج زيناتي, دار الكتاب الجديدة المتحدة, ط1, 2000.
25. في جينالوجيا الأخلاق, فريدديش نيتشة, تر فتحي المسكيني, دار سيناترا – المركز الوطني للترجمة – تونس, ط1, 2010.
26. أقول آه فتكرر الكلاب نباحي, ميثم حربي, منشورات الغاوون – لبنان, ط1, 2010.
27. عالم سري, وداد الواسطي, المركز الثقافي للطباعة والنشر, ط1, 2013
28. بنية التفاؤل والنبوءة في قصيدة نازك الملائكة (للصلاة والثورة) عبور من المسكوت عنه الى المعلن, شريف بشير أحمد, مجلة ابحاث التربية الأساسية, جامعة الموصل – العراق, 2007, م4, ع2.
29. في حداثة النص الشعري, د. علي جعفر العلاق, دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد, ط1, 1990.

30. الزمن في الرواية العربية – نقد أدبي, د. مها حسن القصراوي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر,المركز الرئيسي – بيروت, دار الفارس للنشر والتوزيع عمان, ط1, 2004.
31. طقوس ممنوعة, عبد الجبار الفياض, دار الفرايدي للنشر والتوزيع–بغداد, ط1, 2013
32. التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية, مريم جبر فريحات, وزارة الثقافة – عمان, ط1, 2005.
33. السيرة الذاتية الشعرية – قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية, محمد صابر عبيد, الشارقة – الامارات, د.ط, 1999.
34. هكذا تكلم زرادشت, فريدريك نيتشة, تج ريما ماجد علاء الدين, دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع, سوريا – دمشق جرمانا, د.ط, 2013.
35. خيانات السيدة حياة, عمر الجفال, دار التكوين, ط1, 2009.
36. سحارة الخليج دراسات في غناء الجزيرة العربية, أحمد الواصل, منشورات الضفاف للنشر – بيروت, ط2, 2014.
37. ما بعد الحب, هدية محسن, المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت, ط1, 2003.
38. سرطان نثر اسود, علي وجيه, المعقدين للنشر والتوزيع – العراق, ط1, 2005 – 2012.
39. الرؤيا الآن – كشف في سمات الشعرية الأحدث, فرج الحطاب وجمال علي الحلاق, بغداد, د.ط, 1997.
40. سقوط مردوخ, حسن رحيم الخرساني, منشورات مجلة ضفاف, ط1, 2005.
41. الإغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الشعري – دراسة اجتماعية نفسية, د. أحمد علي ابراهيم الفلاحي, دار غيداء للنشر والتوزيع, د.ط, 2017.
42. هلوسات وأشياء اخرى قصص قصيرة ومشهدية, د. صلاح الدين محمد أبو الرب, دار الخليج للصحافة والنشر – الأردن – المملكة الهاشمية, ط2, 2016.
43. غيوم ليست للمطر, ماجد البلداوي, شمس للنشر والتوزيع, ط1, 2008
44. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر, عبد القادر القط, دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت, د.ط, دت.